



تخر أديباتنا وأمثالنا وأحاديثنا بذم الحياة وتحقيرها والدعوة إلى مجافاتها، فهل هذا نظر شرعي مؤيد بالكتاب والسنة، أم هو موروث ملتبس يجب فحصه وفرزه؟

الذي أجدده في التنزيل أنها: (أَعِبُّ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ) [الحديد: 20] .. و(مَتَاعٌ) [غافر: 39] ..

وهذه الألفاظ تتتسق عندما تفهم أنها في مقابل نعيم الآخرة، ولا يعكر عليها ما أمر الله به من اجتناب الهوى والتزام الشريعة. وهذه الأوصاف تقرأ إيجابياً، فليس كل لعب أو لهو فهو مذموم، بل منها ما هو مذموم، ومنها ما يكون استجاماماً وتنشيطاً للنفس؛ لتهيئاً لخير أو حق، ومن اللهو الم محمود ملاعبة الزوجين أحدهما الآخر، ومشامة الولد، وسياسة الفرس..

ومن هنا ذهب إلى تضعيف حديث: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاد»..

والحديث رواه الترمذى، وابن ماجه، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عنه الترمذى: «حسن غريب». و«الغريب» عنده من أقسام الضعيف، و«الحسن»، أي في مأخذة أو معناه. وروى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحكم عليه الدارقطنى بقلب إسناده، وأن الصواب حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهو من روایة عبد الرحمن بن ثابت بن ثؤيان، والظاهر أن في حفظه ضعفاً، وحديثه محتمل.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه من طريق آخر، وفيه كذاب.

بل ورد هذا الأثر موقوفاً على كعب الأحبار، وكعب كان من أهل الكتاب ويأخذ عنهم.

وورد أيضاً من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.

وروي مرفوعاً من طرق أخرى لا تخلو من مقال.

ومثل هذا الحديث تترّس خلفه ثقافة تسللت إلى تراثنا الإسلامي؛ فقعدت بعقولنا وهمتنا، وأحاطتنا بكهنوت جعل الرقي والتطلع للغد، واستشراف المستقبل عملاً ضد الآخرة والزهد والإخلاص والعمل لله..

وهو أيضاً ينتظم معاني منكرة يتوجب علينا مطاردة مفاهيمها السلبية على الحياة..

الدنيا نفسها معنى محайд، فهي مزرعة للأخرة، ودار إعمار وبناء: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61].
كما أنها للشر والفساد والفتنة إذا أراد الإنسان ذلك.

وتحتمل أن تكون لغير هذا وذاك عند فثام كثيرة من الناس، إذ هي قد خلقها الله وسخرها لعباده وسلطهم عليها، وجعلهم خلفاء فيها، فأين يتاتي اللعن في هذا المقام!!

والدنيا فيها قسم عظيم يندرج تحت الإباحة الأصلية، لا محراً ولا مكروهاً، كالبيع والشراء الذي هو في أصله مباح، ولو تركه الناس لتعطلت مصالح الدين فضلاً عن الدنيا.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن سبباً، ولا فحاشاً، ولا لعاناً.

وحتى لما قيل له: يا رسول الله، ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة» (أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

وجاء في أحاديث صحاح النبي عن لعن شيء من الدنيا، كحديث: عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت، فلعتها، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «خُذُوا ما عليها ودعوها؛ فإنها ملعونة».

قال عمران: فكأنني أراها الآن تمشي في الناس، ما يعرض لها أحد. (أخرجه مسلم)

فكيف يصدق أن يلعن رسول الله الدنيا كلها، إلا ما استثنى، وفيها الكثير الطيب المباح، أو المستحب، أو ما هو زراعة لواجب أو مستحب..

وهذا الحديث بمفرده لا يقوى على الاستقلال بهذا المعنى الخطير الذي يجنب بالدنيا كلها إلى غير ما خلقت له؛ من مجافاتها والخوف منها، وكأنه أثر من آثار الرهابية عند الأمم السابقة: {وَرَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا} [الحديد: 27].

فهذا مما يؤكد نكارة هذا الحديث، وبعده عن الهدي النبوي.

والذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعاً إلى زمانها الذي هو الليل والنهر المتعاقبان إلى يوم القيمة؛ فإن الله تعالى جعلهما خلقة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض، التي جعلها الله لبني آدم مهاداً ومسكناً، ولا إلى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبته فيها من الزرع والشجر، ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار، والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته؛ وإنما الذم راجع إلى ما يستحق الذم من أفعال بني آدم الواقعه في الدنيا؛ لأنه واقع على غير الوجه الذي تُحمد عاقبته، بل يقع على ما تضر عاقبته أو لا ينفع..

إن نقد هذه المرويات متّاً وسندًا وفق القواعد العلمية المرعية، جدير بأن يعزّز النظرة التفاؤلية الإيجابية لدينا، ويقصي

النظرة السلبية المتشائمة، المتحججة على فشلها وإخفاقها بتدجين أو رفض ما يحلو لها من الآثار..

الإسلام اليوم

المصادر: